علم المصطلح: مفاهيمه و علاقته بعلوم أخرى

أ/ نبيلة عباس

مقدمة

كثيرا ما طرحت إشكالية تكييف اللغة العربية مع ما يستحدث في العالم من مفاهيم في مختلف العلوم و التقنيات، و نظرا لإيمان الجميع بأن التطور الحضاري مرتبط بالتطور اللغوي الاصطلاحي، بذلت جهود عربية جبّارة منذ بداية النهضة، حيث أنشئت مجموعة من المؤسسات العلمية العربية المختصة، سعت كلها إلى سدّ الاحتياجات العربية من المصطلحات العلمية في كل العلوم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر : مختلف المجامع اللغوية العربية : القاهري، السوري، الأردني، العراقي، مجموعة من الاتحادات المهنية، كاتحاد الأطباء العرب، اتحاد المهندسين العرب إلى جانب مكتب تنسيق التعريب الذي وافقت الدول العربية على إحداثه فجعلت مقره الرباط والتزمت بتمويله و أوكلت إليه مهمة تنسيق ما وضع من مصطلحات .(1)

1- مفاهيم علم المصطلح:

يعتبر علم المصطلح من أحد أفرع علم اللغة التطبيقي ، يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها (2) ، فهو من أهم النشاطات العلمية و التطبيقية التي ظهرت في بداية القرن الماضي، بهدف حلّ مشكل التواصل بين المختصين في شتى العلوم
والتقنيات، و ذلك إما بتوليد مصطلحات جديدة لتغطية المفاهيم العلمية أو الاختيار بين عدّة مصطلحات مترادفة، نتيجة لصعوبة تطبيق أي نشاط علمي بسبب الاختلاف في استعمال هذه المصطلحات، لاسيّما إذا علمنا أنها تستعمل في وسط من المختصين ذوي التكوين العلمي نفسه(3) حيث يكون التواصل بينهم على مستوى عال في تحديد المفاهيم و هو الأمر الذي يفترض منّا لتحقيقه توفير مصطلحات أحادية للدّلالة على كل مفهوم.
فإذا كان الهدف من هذا العلم واضحًا و متفقًا عليه فانّ المشكلة مازالت تطرح على مستوى تحديد مفهومه بدقّة،لأنه بالرغّم من قدم زمن ظهوره إلاّ أنّ الغموض مازال يكتنفه، و هو ما دفع بالبعض إلى اعتباره فناّ و ليس علماً، نتيجة ارتباطه بعدّة علوم أخرى نذكر منها :علم المنطق، علم اللغة، الإعلاميات، مختلف الموضوعات المتخصصة، علم المعرفة (4) ... و هي علوم تعمل كل واحدة من جهتها على دراسة العلاقة المعقدة بين المفهوم و المصطلح، لذلك نجد من العلماء من ربط مفهوم "علم المصطلح" بجمع المصطلحات و تصنيفها في معجم مخّصص لعلم ما . و رأى فيها آخرون منهجية عمل شاملة تضمّنت

جمع المصطلحات و تحليلها و توليدها و تنميطها، في حين نظرت إليه فئة أخرى نظرة اجتماعية لغوية بتركيزها على العلاقة التي تربط بين المصطلح و مستعمله.
و نتيجة لتعدّد هذه المفاهيم التي يدل عليها مصطلح "علم المصطلح"، اعتبره بعض العلماء من المشتركات اللفظية(5)

أ- مفهوم البحث الاصطلاحي عند ر.دوبوك Dubuc.R

ارتبط مفهوم علم المصطلح عند "دوبوك" بالبحث الاصطلاحي؛ و هي منهجية في البحث تتضمّن مجموعة من الخطوات التي يهدف من خلالها الباحث إلى تيسير عملية التواصل العلمي بين المختصين بتسمية المفاهيم العلمية و إزاحة كل المصطلحات التي لا تعبّر بدقة عن المفهوم، و ما قائمة المصطلحات إذن عند دوبوك إلاّ ذلك البحث الاصطلاحي الذي يتضمن مجموعة من الخطوات : (6)
ا)المعاينة:le repérage،
ب)التحليل :l'analyse،
ج)التوليد:.la création néologique،
د)التنميط:.la normalisation (7)

أ-1 المعاينة: هي عملية يقوم من خلالها الباحث عند قراءته لنص مكتوب علميا كان أو تقنيا أو عند تسجيله لوضعية خطابية لعمال مصنع ما ، باستخراج مجموعة من مصطلحات علم ما ، بعد تحقيقه لشرطين أساسيين هما (8)

1- معرفته الجيدة باللغة التي يوجد عليها الخطاب العلمي -منطوقا كان أو مكتوبا- ممّا سيسمح له بإلغاء كل العبارات أو الكلمات التي لا تتميز بطابع علمي أو تقني.
2- معرفته بالمفاهيم الأساسية للعلم و ذلك حتى يتسّنى له تمييز علم عن آخر خاصة عند تقارب العلوم كما هو عليه الحال في علم الأحياء الذي تتفّرع منه عدّة علوم أخرى متقاربة: كعلم الأحياء الدقيقة، علم الهندسة الوراثية، علوم الأنزيمات.

لذلك يمكن للباحث في ميدان المصطلحات أن يخلط بين مصطلحات هذه العلوم إذا لم يطّلع على ميدان كل علم على حدة.
و لتجنّب هذه العوائق يجب على الباحث أن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة عند استخراجه للمصطلحات مثل:

أ- هل ينتمي هذا المصطلح للعلم موضوع البحث؟
ب- هل يرتبط به مباشرة أم بطريقة غير مباشرة؟

ج- هل يدل على مفهوم مادّي أو على معنى أساسي؟

أ-2 التحليل: الهدف منه هو تحديد المحتوى المفهومي للمصطلحات بحصر كل السياقات التي ظهرت فيها.

أ-3 التوليد الاصطلاحي : لا تعتبر عملية وضع المصطلحات العلمية من مهام الباحث في علم المصطلح بل هي من صلاحيات العالم المكتشف (9) للمفهوم العلمي، لأن قيمة اختراعه مرْتبط بمدى دقّة المصطلح الذي يضعه للتعبير عن المفهوم.
لكن و بالرغم من انحصار مهمة الباحث الاصطلاحي في دراسة مصطلحات موجودة أصلا، إلا أنه بإمكانه أن يسهم في وضع مصطلحات لبعض المفاهيم، بشرط (10) معرفته الدقيقة و العميقة بتاريخ اللغة و بشتى العلوم اللغوية كعلم النحو، علم الصرف، علم الدلالة.

أ-4 التنميط : يعتبر الكثير من الباحثين التنميط من بين أهّم الخطوات المتّبعة في ميدان البحث الاصطلاحي، إلاّ أن "دوبوك" بقي مترددًا في ضرورة إدماجه أو إلغائه من البحث.
فهو يرى أن التنميط هو فرض استعمال معّين لمفردات نشاط ما، و لا يكون ذلك طبعا إلاّ بقرار رسمي تصدره هيئة علمية معترف بها و ذات صلاحيات، أو عن طريق الاتفاق الجماعي للناس، وهذا بعيد عن صلاحيات و إمكانيات الباحث، الذي يمكنه مع ذلك المساهمة في هذه العملية و توجيه الهيئات المختصّة.

ب- مفهوم علم الاجتماع الاصطلاحي (11)

هو مصطلح حديث نسبيا ، ظهر سنة 1986 (12) في مقال كتبه Yve Gambier عنونه بـ : "المشاكل الاصطلاحية للأمطار الحمضية : دراسة اصطلاحية اجتماعية" (13) و مع أن هناك من يرى أن هذا المصطلح قد برز قبل هذه الفترة في بعض المجلات، إلا أنه أصبح معروفا لدى الجميع بعد صدور تلك المقالة التي سعى صاحبها من خلالها، إلى ضرورة تحويل مفهوم علم المصطلح إلى علم الاجتماع الاصطلاحي.
يهدف هذا العلم إلى معرفة كيفية استعمال الناس للمصطلحات العلمية و إبراز دور الظروف الاجتماعية اللغوية المؤثرة في ذلك، بالاعتماد على علمين أساسين هما: علم اللغة، علم الاجتماع اللغوي، خاصة بعد التطور الهائل الذي شهده هذا الأخير في السنوات القليلة الماضية، من هنا عمل المتخصصون في علم

المصطلح على تطوير الجانب النظري لعلم الاجتماع الاصطلاحي، و تم ذلك بعد تحديد مفهومه الذي نختصره على الشكل التالي : (14)

علم الاجتماع الاصطلاحي = علم الاجتماع اللغوي (15) + علم المصطلحات

لكن حداثة هذا المفهوم لا تعدم وجود بذور له، نشأت بالتوازي مع بداية التفكير في علم المصطلحات و ذلك في بداية السبعينات، سواء مع "جلبير" (16) الذي رأى أن علم المصطلح مرتبط بالبلاغة و النحو و علم الاجتماع اللغوي، أو مع "راي ألان"(17) في حديثه عن أهمية البعد الاجتماعي اللغوي في علم المصطلح، حين بيّن أهميته في معالجة الكثير من المشاكل الناتجة إمّا: عن: تبادل المعلومات بين مجتمعات لغوية مختلفة، أو حتى في التواصل بين الأشخاص المتحدثين بنفس اللغة أو عن كيفية تأقلم حقل دلالي جديد بمصطلاحاته في ثقافة معينة، و مكانة الكلمات المقترضة في المجتمع، التكوين التسليم للمصطلحات المركبة و كيفية استعمال الناس لها....

-**منهجيته**: يعتمد علم الاجتماع الاصطلاحي على المنهج الوصفي، إذ يهتم بدراسة المصطلحات و تفاعلها في المجتمع(18) في جانبها المنطوق، دون أن تلغي مصطلحات النصوص المكتوبة، التي تركز عليها ،و ذلك للقيام ببعض البحوث الميدانية لمعرفة مدى استعمال الناس لما ورد فيها و يرتبط هذا بمعرفة شروط كتابتها و كيفيات انتشارها

و نشرها و مدى أهميتها لدى القراء، و يتم كل ذلك لتحقيق أهداف هذا العلم الذي يعمل على معرفة مدى انتشار هذه المصطلحات و أسباب مقاومتها لقرارات المجامع اللغوية و الهيئات العلمية التي تفرض استعمالاً معينا.

و بقصد توسيع منهجية عمل هذا العلم يرى Yve Gambier (19) أنه يجب علينا عدم الاكتفاء بالنظر إلى المصطلحات فقط من الناحية النظرية ، أي بالنسبة للنظام المفهومي الذي تنتمي إليه: من حيث ملاءمة المصطلح للمفهوم الذي وُضع من أجله، إنما يجب علينا النظر إلى كيفيات استعماله في الواقع بكل تناقضاته الاجتماعية: من يستعمل هذا المصطلح؟ من يضعه؟ كيف وضعه؟ كيف انتشر المصطلح؟ كيف تتم عملية إصلاح المصطلحات؟ ..... لذلك ينصح بضرورة تبني موقف نتساءل من خلاله عن الحقائق اللغوية في كل هذه القضايا قبل اتخاذ أي إجراء متصلب من التنميط الذي تراجع نتائجه في معظم الأحيان نظرًا لعدم توفر كل المعلومات اللازمة حول استعمالات المصطلح.

يفرض هذا التغير في نظرتنا إلى علم المصطلح إعادة إدماج كل الاستعمالات المختلفة، التي تظهر عند الناس للمصطلحات، و محاولة فهم هذه الاختلافات و دراستها قبل القضاء عليها. فهو باختصار سيحاول الاهتمام بالجانب اللغوي، المعيار، العلاقات بين السلطات اللغوية و رغبة الإنسان في الاقتصاد أثناء

الكلام، مستويات اللغة، المنافسة بين المستعملين للمصطلحات المختلفة، كل هذا لمعرفة بعض الصعوبات التي يطرحها هذا الميدان و تحديد سبب قبول أو رفض المستعمل لها.
و لكن يبقى الجدال قائما بين المتخصصين في ميدان علم المصطلح حول نجاعة هذا العلم في تحقيق الأهداف.
ف A.Rey (20) مثلاً ، يرى أن علم الاجتماع اللغوي ما يزال عاجزًا عن استنباط القوانين المتحكّمة في قبول أو رفض المستعملين للمصطلحات، و يذكر أنها تعتمد على عوامل لغوية، نفسية و اجتماعية متنوعة، إضافة إلى اختلاف ميزان القوى ،فعشرة أو مائة ألف من المهندسين أو التقنيين الذين يستعملون مصطلحًا معينًا انتشر في أوساطهم هو عامل يعيق المصطلح الذي وضعته الهيئات المختصة و المجامع اللغوية، خاصة إذا كانت هذه المؤسسات لا تمتلك وسائل التدخل الفعالة.
و بالمقابل حاول بعض العلماء إيجاد معايير يمكن للمصطلحات أن تعرف بواسطتها انتشارًا واسعًا لدى المستعملين و هي : (21)

أ) على المستوى اللغوي:

1) ضرورة توافقها مع النظامين الصوتي و الصرفي للغة،
2) النظر في إمكانياتها الاشتقاقية و مدى تلاؤمها مع الجملة أو التركيب الذي يتضمن المصطلح،
3) التوصل إلى إيجاد مصطلح واحد لنفس المفهوم العلمي.

و يمكن أن نضيف لها معايير أخرى منها:

1) اتفاق الناس على استعمال المصطلح،
2) القيام بسبر الآراء لمعرفة حظوظ نجاحه،
3) كيفية استعماله في الهيئات الرسمية التي كلفت بالتنميط.

2- علاقته بعلوم أخرى:

أ- علاقة علم المصطلح بالترجمة:

كثيرا ما تختلط مهام المترجم للمصطلحات بمهام الباحث الاصطلاحي، و يعود هذا الاختلاف إلى تباين هدف كل واحد منهما.
فالهدف الرئيسي(22) الذي يسعى إليه المترجم هو إيجاد مقابلات في لغته لمصطلحات أجنبية و ذلك في أسرع وقت ممكن. و نجده لذلك يتبع خطة عمل يحدّد في بدايتها موضوع البحث عن طريق مجموع المصطلحات التي استخرجها، ثم يضع لها مقابلات في لغته استنادا إلى مجموعة من المعاجم الأحادية اللغة، لتحديد أحسنها، فهو بذلك يوقف عمله عندما يجد المقابل المناسب.

لكن الأمر مختلف عند الباحث في ميدان المصطلحات الذي يضطر إلى الإحاطة بالمفهوم و التعمق فيه بربطه بمصطلحات اللغتين المترجم منها و المترجم إليها.
المترجم إذن ينطلق من مصطلح في لغة ما ليصل إلى مصطلح في لغة أخرى في حين ينطلق الباحث في علم المصطلح من مصطلح في لغة أجنبية و يعود إلى المفهوم ليصل و يقدم المقابلات في لغته.
و يمكن تحديد طريقة عمل المترجم و الباحث في علم المصطلح على الشكل التالي : (23)

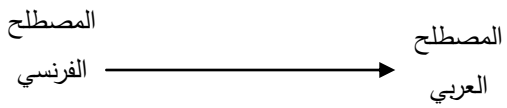

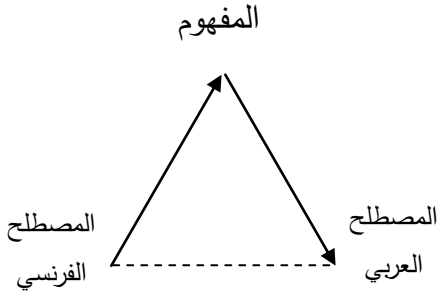

عمل المترجم

عمل الباحث في المصطلحات

ب- علاقة علم المصطلح بصناعة المعاجم:

دفع عدم تحديد مفهوم علم المصطلح بدقة الكثير من الباحثين إلى الاعتقاد أن هذا العلم ما هو إلا صناعة معاجم للمصطلحات العلمية و التقنية . (24)
يعود السبب في ذلك إلى كونه يستمد بعضا من مباحثه من علم صناعة المعاجم و علم الدلالة باعتباره يبحث في العلاقة بين المصطلحات و وسائل وضعها و أنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم و هو ما دفع بالبعض إلى جعله فرعا من علم المعاجم .(25)
و بقصد ضبط خصائص كلا العلمين ومميزاتهما يمكن عقد مقارنة بينهما :
1- علم المصطلح ذو هدف معياري (26) لأنه يحاول أن يحقق العلاقة الأحادية بين المصطلح و مفهومه-أي أن يجعل لكل مفهوم علمي مصطلح واحد دال عليه.
لكن في المقابل نجد أن الهدف من علم المعاجم وصفي (27) فقط نتيجة اهتمامه بجمع المفردات التي ينتجها و يدركها الأشخاص الذين يشتركون في لغة معينة ضمن مجتمع معين.

2- بإجراء مقارنة بين علم المصطلح و علم صناعة المعاجم اللغوية، سنجد اختلافا بين هذين العلمين على مستوى معيار التعريف مثلا: فعلم المصطلح يهتم بتوضيح المحتوى العلمي للمصطلح إما عن طريق تعريفه تعريفا منطقيا (28) بذكر صفاته و خصائصه، لونه و شكله ..... أو يستبدل ذلك بصورة أو رسم يوضح المفهوم و هي طريقة تلجأ إليها المعاجم العلمية المتخصصة.

في حين يكتفي علم صناعة المعاجم اللغوية بذكر المقابل اللغوي المتمثل في المرادف الذي يمكن أن يقوم مقام الكلمة المدخل.

3- يشترك علم المصطلح مع علم صناعة المعاجم الموسوعية Lexicographie encyclopédique في نقطة هامة تتمثل في حصرهما للمصطلحات انطلاقا من موضوعاتها التي تندرج ضمنها، و تعمل على تعريف المفاهيم تعريفا موسوعيا، في حين يبرز الاختلاف في الهدف، فعلم صناعة المعاجم الموسوعية هو علم ذو هدف تعليمي، لذلك يّكثر من إيراد المعلومات المتعلقة بالمفهوم و هو ما يجعله يجمع البعد الاصطلاحي بعناصر ثانوية. (29)

4- يختلف علم المصطلح عن علم صناعة المعاجم الثنائية أو المتعددة اللغة، لأن هذه الأخيرة وضعت أصلا لتعلم نظام لغوي بمقابلته مع نظام لغوي آخر، اكتسبه مستعمل المعجم فهي تقابل بين النظامين على مختلف المستويات اللغوية.

في حين وُضع علم المصطلح لتحقيق أهداف أخرى أكثر من التقابلات النظرية.

الهوامش

(1) . شحادة الخوري ، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب ، الطبعة الثانية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1992،ص36

(2) . محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، مكتبة غريب ، ص 19

(3) _ Louis Guilbert ; La specifité du terme scientifique et technique ; in langue française, n°17,1979 , p15

(4) . الحسين كنوان ، الدراسة المصطلحية مفهوما ومنهجا ، ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، المغرب ، 1993 ، ص 40

(5)_ Teresa Cabré, Terminologie et dictionnaire, in meta , vol 39 , n°4,1994, 596

(6)_ Robert Dubuc , Manuel pratique de terminologie , conseil international de la langue française, p15

(7) . ظهر هذا المصطلح سنة 1871 . يعتبر هدفا يسعى علم المصطلح إلى تحقيقه ، لأنه يوفر مجموعة من المقاييس التي تسمح بالاختيار بين المصطلحات المترادفة ، الناتجة عن تعدد الجهات العلمية التي تضع المصطلحات دون تنسيق واضح بينها و هو ما أنتج نوعا من الفوضى في العمل الاصطلاحي .

أنظر :

رشاد الحمزاوي ، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها ، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 ،ص61

(8)_ Robert Dubuc , Manuel pratique de terminologie, p15

(9) _ Louis Guilbert ; La specifité du terme scientifique et technique, p14

(10)_ Robert Dubuc , Manuel pratique de terminologie, p16

(11) . اقترحنا هذا المصطلح مقابلا ل socioterminologie ، بعد عدم عثورنا على مقابل له في المعاجم العربية اللغوية المتخصصة مثل المعجم الموحّد للسانيات .

(12) _ François Gaudin , La socioterminologie : du signe au sens , construction d’un champ , in meta , vol 38 ,n°2,1993 ,p293.

(13)_ « Problèmes terminologiques des pluies acide pour une socio_ terminologie »

(14)_ François Gaudin , La socioterminologie ,p293

15 . عرّف "دوبوا" هذا العلم " بأنه أحد العلوم المتفرعة من علم اللغة ، يهدف إلى إبراز مدى توافق تغيرات الظواهر اللغوية والاجتماعية ، ثم يحاول تأسيس علاقة السبب والتأثير.....كما يهدف إلى إظهار الانعكاسات اللغوية للتغيرات الاجتماعية بانتهاج دراسات وصفية مستقلة لكلا العاملين: من جهة البنى اللغوية ومن جهة البنى الاجتماعية . ينطلق في دراسته من المعطيات الاجتماعية كالحالة الاجتماعية للمتكلّم (منشؤه اللغوي ، وظيفته ، مستواه المعيشي)، بعدها يربط هذه الحالة بنموذج تأدية المتكلّم للّغة المسجّلة " .

أنظر :

_ Jean Dubois , dictionnaire de Linguistique , Larousse ,1989,p 444

(16)_ François Gaudin , La socioterminologie ,p295

(17) _ Alain Rey , la terminologie : noms et notions , puf, 1979,p121

(18)_ François Gaudin , La socioterminologie ,p23

(19) _ Ibid ,p295

(20)_ Alain Rey , la terminologie : noms et notions,p77

(21) _ Richard Kromp , Néologie en marche ……arrière ou avant ,in meta , vol 24 ,1979 , n°2 , p176 .

(22) _ DN Aupetit , Traduction et terminologie : Démarche comparée , in meta , vol 24 , 1979, n°2, p160

(23) _ Ibid , p160

(24)_ « La terminologie est une lexicographie des domaines techniques et scientifiques » In :

_ Edith Bernard , La norme Linguistique , Collection l’ordre des mots , le Robert ,CLF, 1983, p437

(25) . علي القاسمي ، النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتنميطها ، مجلة اللسان العربي، مجلد 18 ،ج1 ، 1980 ،ص9 .

(26) _ Edith Bernard , La norme Linguistique, p437

(27)_ Chantel Gerardin , Contenu , usage social et interdit dans le dictionnaire, in , Langue française ,n°43,1979, p84

(28)_ Louis Guilbert ; La specifité du terme scientifique et technique, p10

(29)_ Alain Rey , la terminologie : noms et notions,p53